

لا مفر، يجب تقسيم القدس*

بوعز غاؤون

[.....]

يقوِّض كلاين** في كتابه، رواية بن - عامي التي تقوم إن الفلسطينيين رفضوا مقترحات الرئيس كلينتون في طابا. يكتب قائلاً: "في المحصلة، لم تكن التحفظات الفلسطينية تجاه موضوع القدس جوهرية كالتحفظات الإسرائيلية، لأن الإسرائيليين كانوا سيخسرون أكثر نسبياً قياساً بمطالبهم الأولية في شأن القدس [....]

"أنعمت النظر في كل التحفظات الفلسطينية تجاه مقترحات الرئيس كلينتون"، قال لي كلاين، "وفي رأيي، هناك تحفظ ونصف تحفظ. وقد كان رأي الإدارة الأميركية، بصورة أولية، أن عرفات قبل الإطار الأساسي الذي اقترحه الرئيس، ويخيل إليّ أن الإدارة كانت محقة في ذلك. لكن المفاوضات كانت تجري في تلك المرحلة عشية الانتخابات [الإسرائيلية]، وكان كل من الطرفين يشعر بخيبة أمل من الآخر، وكل منهما منهمك نفسياً إلى حد القرف والاستخفاف بالطرف الثاني. ولم يكن ممكناً التوصل إلى اتفاق في مفاوضات طابا.

"ربما لم يكن في نية براك، كما قال لي قبل عدة أسابيع في لندن، [....] التوصل إلى اتفاق في طابا."

س: هذا أمر مثير للدهشة. هل قال لك رئيس الحكومة، إيهود براك، أنه ذهب إلى مفاوضات

طابا وهو يعلم سلفاً أنه لا ينوي توقيع اتفاق؟

ج: "قال لي ما يلي: ليس مصادفة أنه لم يُعقد في نهاية مفاوضات طابا لقاء تنسيقي بين رؤساء اللجان الفرعية الإسرائيلية لتبادل المعلومات فيما بينهم."

"وقال لي: لم أذهب إلى طابا كي أتوصل إلى اتفاق، وإنما كي أعرف ما إذا كان عرفات مستعداً لاتخاذ قرارات صعبة، وتبين أنه غير مستعد. لكن لم يكن لديّ نية التوصل إلى قرارات حاسمة في طابا."

* المصدر: "معاريف"، 2001/10/26.

** كان مناحم كلاين عضواً في الفريق المفاوض الإسرائيلي منذ محادثات كامب ديفيد حتى محادثات طابا.

يدعي كلاين، ويورد أدلة تعزز ادعاءه، أن إسرائيل ذهبت إلى كامب ديفيد غير مستعدة بشأن كل ما يخص مسألة القدس. الفجوة بين مواقف إسرائيل في بداية المفاوضات وبين مواقفها في نهايتها، كانت كبيرة جداً، والتحضير الإسرائيلي كان ضعيفاً، بحيث فقد الفلسطينيون ثقتهم بالإسرائيليين خلال التفاوض. لنأخذ، مثلاً، موضوع جبل الهيكل [الحرم القدسي الشريف]. "الطرف الفلسطيني"، يكتب كلاين، "صعبٌ عليه أن يفهم كيف أن حكومة أعلنت أنها ستنجز ثورة مدنية - علمانية تتبنى موقف وخطاب مجموعات قومية ومسيحانية في إسرائيل. لقد أصاب إدخال الحديث عن الهيكل المقدس في صلب الخطاب الإسرائيلي ووضعه على طاولة المفاوضات نقطة فلسطينية حساسة - تصورهم أن الصهيونية تريد أن تقيم الهيكل الثالث على أنقاض المقدسات الإسلامية. وهنا أيضاً يظهر الأثر السلبي للتحضير الإسرائيلي الضعيف فيما يتعلق بالموضوع الديني."

س: أنت تدعي أن لحكومة الإسرائيلية، خوفاً من التسريبات، لم تقم بما كان عليها أن تقوم به من ناحية تفحص المواقف الدينية اليهودية فيما يتعلق بجبل الهيكل، وأيضاً من ناحية التأثير الذي يمكن أن تحدثه في الوفد الفلسطيني المفاوضات المطالبة بالسيادة الإسرائيلية عليه بحجة أن بقايا الهيكل المقدس موجودة هناك، والمطالبة ببناء كنيس يهودي في طرف الجبل. على سبيل المثال، لم يشرك رجال دين في بلورة المواقف الإسرائيلية.

ج: "هذه العناصر الثلاثة مجتمعة، كما انعكست بشكل حاد جداً في لهجة المفاوضين الإسرائيليين، كان تأثيرها في الوفد الفلسطيني، وأنا هنا اقتبس تشبيهاً فلسطينياً، كأنما قنبلة نووية أُلقيت عليه. وكانت النتيجة رفضاً فلسطينياً لأي صلة يهودية بالمكان [...]". "هذا الأمر معقد جداً - جداً، وكان يجب التحضير له سلفاً على نحو أفضل. وقد بذلت محاولات لإصلاح الأمر بعد كامب ديفيد. إن القيادة الفلسطينية غيرت لهجبتها بشأن الصلة اليهودية بالمكان، وصدر بيان عن 150 مثقفاً اقترح صيغة معينة للصلة اليهودية به، ونجحت الإدارة الأميركية في إحداث تغيير في الموقف الفلسطيني. لكن كل هذه المحاولات جرت بعد وقوع الضرر الشديد."

ولا يقل النقد الذي يوجهه كلاين إلى الوفد الفلسطيني حدة عن ذلك. فالفلسطينيون أيضاً، مثل الإسرائيليين لم يعملوا [بحسب رأيه] على إعداد جمهورهم لتنازلات في كامب ديفيد، ولذلك كانوا هم أيضاً مقيدّين (مع أن الوفد الفلسطيني جاء إلى القمة نفسها وهو أكثر استعداداً).

"افترض الفلسطينيون"، يكتب كلاين، "أن هناك مؤامرة إسرائيلية - أميركية، مع أنه لم يكن هناك أكثر من تنسيق وثيق بين ممثلي الدولتين. واعتقادهم أنه ينبغي لهم مواجهة مؤامرة بهذا الحجم ولّد لديهم ذهنية أشخاص في حالة حصار، وجعلهم يتخذون نفسياً في مواقفهم". وفي موازاة ذلك، لم تقم القيادة الفلسطينية، قبل توجيهها إلى الولايات المتحدة، بأي عمل لمواجهة التنظيمات الجديدة المعارضة لفتح.

س: من أين أتت مفاوضات علمانيين، في الأساس، فكرة المطالبة بالسيادة على جبل الهيكل من خلال الادعاء أن بقايا الهيكل المقدس موجودة هناك؟

ج: "لا أعرف من جلب هذه الحجة إلى بن - عامي، الذي كان المفاوضات الرئيسي في مقابل صائب عريقات في كامب ديفيد. تقول إحدى الروايات التي سمعتها إن إياكيم روبنشتاين أدى دوراً أساسياً في بلورة ذلك".

[.....]

"يجب تغيير الحدود في القدس"

لُبّ كتاب كلاين مكرس لمسألة القدس والخلاف بشأن مسألة السيادة على جبل الهيكل [الحرم القدسي الشريف]. ويريد كلاين أن يكون واضحاً. لن يكون هناك اتفاق سلام مع الفلسطينيين، على الأقل وفق ما تشير إليه الاتصالات التي جرت حتى الآن، من دون تقسيم القدس ومنح [الفلسطينيين] السيادة على جبل الهيكل [....]

القدس، بحسب رأي كلاين، ليست مدينة مقسّمة فقط، بل مدينة آخذة في الانقسام أكثر أيضاً. والقول بأن القدس مدينة ذات "وضع قائم" [status quo] مستقر، أي ما دام الإسرائيليون لم يوقعوا اتفاق سلام يعطي الفلسطينيين القدس الشرقية فإن المدينة هي "القدس الموحدة العاصمة الأبدية لإسرائيل"، هو مجرد وهم [....]

[.....]

ويعبر كلاين عن ذلك بقوله: "إن النقاش العام والمؤسّساتي لم يتطور إلى حد إدراك ما يعنيه الحل بالنسبة إلى القدس. كما أن الافتراض أن الوضع القائم في القدس مستقر، وبالتالي من الأفضل لإسرائيل الاستمرار فيه، هو وهم، بينما الحقيقة هي أنه منذ انتفاضة سنة 1987 لا يوجد وضع قائم في المدينة".

س: هل الشعب قادر نفسياً على التنازل عن القدس الشرقية وجبل الهيكل؟

ج: "بحسب تقديري، نعم. واحد من التطورات التي حدثت لدى الجمهور الإسرائيلي هو أن التابو المحيط بالقدس، الذي كان يضع معارضة تكاملها في نطاق المحرّمات، انكسر قبل كامب ديفيد وبعده. فجأة اكتشف الإسرائيليون أن هناك عرباً في القدس! وأنهم ليسوا زخارف، كما هو مكتوب في الكتب التعليمية التي تصدرها بلدية القدس، وليسوا 'مسلمين'، وإنما هم عرب فلسطينيون يتمتعون بوعي سياسي.

"ويخيل إليّ أن هذا اكتشاف لا يمكن محوه. نتيجة الانتفاضة، على سبيل المثال، لم تعد الأحياء الواقعة في أطراف القدس تحت سلطة إيهود أولمرت والحكومة الإسرائيلية. نظرياً نعم، القانون الإسرائيلي على الورق يسري عليها، لكن عملياً لا شيء من ذلك. الحاجز الإسرائيلي موجود على بعد أربعة كيلومترات إلى الجنوب من حدود القدس الواقعة تحت السيادة الإسرائيلية. هناك تجد حاجزاً، وعلماً، وخدمات بلدية تقدمها بلدية العاصمة. المنطقة الصناعية، عطاروت، مهجورة إلى حد كبير، ولم تنجح كل الخطوات والمحاولات في جلب الصناعيين الإسرائيليين إليها.

"ينطبق ذلك أيضاً على الأحياء في الطرف الجنوبي. ومن هنا من الصعب جداً أن تأتي وتبدأ بالقول إن الحدود التي رسمتها إسرائيل في سنة 1967 هي الحدود الحالية، وهي أيضاً الحدود الدائمة. يجب تغيير الحدود بين الإسرائيليين والفلسطينيين في القدس."

س: في نهاية الكتاب تصف القدس في عصر ما بعد الحل مع الفلسطينيين [...] وأنا أعرف

إسرائيليين كثيرين سيرمون سيناريو كهذا في سلة المهملات.

ج: "هذا صحيح. لكن هذه هي الحقيقة التي جرى الحديث عنها في كامب ديفيد، وهذا هو المعنى الحقيقي للحل السلمي مع الفلسطينيين. ومن هذه الناحية، أعتقد أنه ينبغي لنا - نحن الإسرائيليين - أن نتوجه إلى قادتنا ونسألهم لماذا لم يقولوا لنا الحقيقة بخصوص ما يجري في القدس، أي الحقيقة في أنها مقسمة وغير موحدة. إن اليمين الإسرائيلي يحاول أن يتلهّى بأن الوضع قابل للتغيير، إلا إن جميع محاولاتنا، منذ سنة 1996، لتغييره باءت بالفشل. جميعها. إن تقييد البناء الفلسطيني، ومصادرة بطاقات الهوية، وكل ما فعلناه انتهى إلى فشل. هذا مثل خبط الجدار بالرأس، ومن يخبط الجدار برأسه سينزف الدم من رأسه في النهاية."

إدارة غير حكيمة للقدس يمكن أن تشعل حريقاً فيها

عن الجهود لـ "تهويد القدس" يكتب كلاين ما يلي: "بحسب رؤية الحكومة الإسرائيلية وبلدية القدس فإن من شأن تنفيذ مشاريع البناء وبقية البنود المتضمنة في خطة تعزيز القدس أن يؤدي

إلى إيجاد ميزان ديموغرافي بنسبة 70% يهود و30% عرب في القدس الكبرى بأسرها، وليس داخل الحدود الحالية للمدينة فقط. لكن من المشكوك فيه أن تكون هذه الخطة أكثر من مجرد خطة أمنية. ففي مقابل هذه الخطة الإسرائيلية عزز الجانب الفلسطيني أيضاً وجوده في منطقة القدس - شجعت السلطة الفلسطينية البناء من أجل إيجاد تواصل بين الأحياء الفلسطينية في شمال المدينة وبين الخليل ورام الله للحؤول دون إحاطة التجمعات والقرى العربية."

س: بكلمات أخرى، أنت تدعي أن تنفيذ مناقصات البناء الإسرائيلية في القدس الكبرى، ربما في ذلك إنشاء مدينة المتدينين [الحريديم] الجديدة تل - تسيون شمالي شرقي القدس، لن يؤدي إلى تغيير الميزان الديموغرافي في القدس الكبرى لمصلحة إسرائيل.
ج: "صحيح".

س: إيهود أولمرت لن يوافقك على هذا الرأي.

ج: "من أجل التوصل إلى وضع 30:70 يجب تنفيذ خطوات أوسع نطاقاً بكثير مما يجري فعله حالياً، تشتمل على هدم منازل، وبناء مدن كاملة جديدة، وخنق القدس الشرقية. لكنهم لم ينجحوا في تحقيق غايتهم. لم ينجحوا في منع الهجرة، ومصادرة بطاقات الهوية، وقد أضعفت الانتفاضة الفلسطينية الوجود الإسرائيلي في الأطراف.

"تقصيت عدد الفلسطينيين الموجودين تحت الحكم الإسرائيلي، بمن في ذلك الفلسطينيون القاطنون في جوار حدود البلدية، فوجدت 330,000 فلسطيني: من دون بيت لحم، ومن دون بيت جالا، ومن دون رام الله، ومن دون المدن. إحصاء عدد جميع الإسرائيليين القاطنين في المستوطنات، وستصل إلى الرقم 40,000. هذا هو العدد الإجمالي."

س: سيقول لك أولمرت ما يلي: عودة الشعب اليهودي إلى القدس بعد 2000 سنة في المنفى لها قيمة رمزية يجب الحكم عليها من منظور تاريخي. فنحن هنا لا نتحدث عن كفاح عام أو عشرة أعوام أو 50 عاماً، وإنما عن كفاح يمكن أن يستمر مئات الأعوام. من خلال هذا المنظور التاريخي يجب الاستمرار في تهويد القدس، وليحدث ما يحدث.

ج: "هذا موقف مشروع تماماً في نظري. لكنني شخصياً أرى الأمور من منظور صهيوني مختلف. رؤيتي الصهيونية هي ألا نسيطر على الآخرين وعلى مساحات جغرافية. الصهيونية، في نظري، معناها عودة الشعب اليهودي إلى التاريخ السياسي في إطار دولة، ومعناها علاقات طبيعية، قدر المستطاع، بالمجتمع الدولي وبالجمهورية المباشرة. هذا هو جوهر الصهيونية في نظري: عودة إلى التاريخ السياسي، وليس حركة مسيحية، أو نهاية التاريخ الدنيوي المكتمل بسيطرة

الشعب اليهودي على جميع أنحاء أرض إسرائيل من الفرات إلى دجلة. بل عكس ذلك: عودة إلى التاريخ كما يُصنع الآن وفي المدى المنظور، وتحويل الشعب اليهودي إلى شعب فاعل من ناحية سياسية، مقبول من العالم ومن الجوار المحيط به.

[.....]

س: أنت تقول في كتابك: غياب أزيز الرصاص عن قلب المدينة يمكن أن يخلق الانطباع بأن الوضع القائم في القدس مستمر وأن المدينة تتمتع بهدوء مطلق، في حين أن الضفة الغربية وقطاع غزة مشتعلان. وكما ثبت من تجربة بيروت وبلفاست، فإن من غير الممكن في واقع مجابهة إثنية - قومية عزل العاصمة عن محيطها، وستنزلق المجابهة من الأطراف إلى العاصمة وتتسع. هل هذا تقدير واقعي للوضع، أم تهويل؟

ج: إن إدارة غير حكيمة للقدس يمكن أن تشعل حريقاً فيها. خلال فترة حكم براك جرت أعمال بناء كبيرة جداً في المستوطنات المحيطة بالقدس، لكن براك، وبن - عامي، ورامون، وبيلين منعوا نشاطات [في القدس] كثيرة، مثل هدم واسع النطاق للمنازل، ومصادرات لبطاقات الهوية، وهذا أدى إلى تهدئة الوضع في المدينة. ومنذ أن تبدل الحكم، أصبح جدول أعمال اليمين المتطرف فعل كل ما امتنعت حكومة براك من فعله.

"فليكن الأمر واضحاً: الوضع ليس أنه لا توجد انتفاضة في القدس، وإنما لا توجد انتفاضة في قلب القدس. والوضع يمكن أن يصبح أسوأ جداً إذا لم تُكبح نشاطات الجهات المتطرفة. من السهل جداً إشعال حريق في المدينة، لكن سيكون من الصعب جداً إخماده. في بيروت، انزلقت الحرب الأهلية من الضواحي الفقيرة إلى داخل الأحياء المختلطة. وإذا ما قرر أولمرت، مثلاً، تطبيق فكرته في فتح الأحياء العربية أمام الإسرائيليين ليسكنوا فيها، فإن الأمر يمكن أن يؤدي إلى اشتعال حريق.

"هذه ليست مسألة تهويل، وإنما مسألة رؤية أين تتجه الأمور. في الوقت الحالي ليس لدى الفلسطينيين ذرة ثقة بوجود نيات طيبة إسرائيلية للتوصل إلى أي حل سياسي. وهذا معناه أن من غير الممكن، كما يبدو، التوصل إلى حل بشأن القدس، ولو كان مرحلياً، من دون أن يعرف الطرفان إلى أين يتجه الأمر في نهاية المطاف. الهدف النهائي يجب أن يوضع على الطاولة، وأن يتفق عليه الطرفان. والتوصل إليه يجب ألا يتم على مراحل."

ولا يكفي كلاين بانتقاد الطريقة التي أديرت بها المفاوضات حتى الآن، وإنما أيضاً يقترح طرقاً لإدارتها في المستقبل. "بدلاً من أسلوب الخطوط الحمر الذي تبناه براك وبن - عامي"، يقول، "يجب السير في طريق الخطوط الزرق. بكلمات أخرى: يجب أن يكون أساس التفاوض هو

'الخير المشترك' لكلا الطرفين، على أساس واقع الحياة في المدينة نفسها، وليس الإدعاءات التاريخية، أو النظرية، أو السياسية."

س: أليس هذا مبتذلاً قليلاً؟ أليست المقاربة القائمة على رؤية المصالح المشتركة من خلال قيام المفاوضين بهذا الدور أو ذاك، وما شابه ذلك، هي جزء بنيوي من كل مفاوضات تجرى من أجل السلام؟

ج: "يعتمد الأمر على نوع المقاربة. وتلك المقاربة التي تتحدث عنها لم تكن موجودة في كامب ديفيد. هناك تصرفات إسرائيلية من خلال عقلية الذهاب إلى السوق وأنا أعرف كيف يجب أن تجرى المفاوضات مع العرب - هو يقترح 5 شيكلات للكيلو، وأنا أعطيه شيكلاً، وفي البيت أقول: خوزقته. هذا تربيط أيدٍ، وتقليل قيمة، ومن شأنه أن يقود إلى مواجهة فورية. وما حدث لم يكن من نوع المفاوضات التي جرت في أوسلو، أو مع الأردن، أو مع السادات. أنا أعني كل الصعوبات التي نواجهها مع الطرف الفلسطيني، وقد ذكرتها في كتابي، ومع ذلك، فإنه مما لا شك فيه أننا توصلنا في القنوات السرية، عندما كانت موجودة، إلى اتفاقات متبادلة، وإلى بناء ثقة، وحتى إلى نسج علاقات شخصية بمستوى لم يكن موجوداً [في كامب ديفيد] عندما تحدث المفاوضون الرسميون من خلال مصطلحات الخطوط الحمراء. وما أشير إليه هو الصيغة الصحيحة للتفاوض."

س: لنفترض، جديلاً، أن إسرائيل هي المسؤولة عن فشل المفاوضات مع الفلسطينيين، ألا تلغي شكوك عرفات في نيات إسرائيل أهليته لإجراء مفاوضات جديدة معه؟

ج: "عرفات ليس اللاعب الوحيد. هناك نخب في القيادة الفلسطينية، وأجهزة متعددة، ويجب بناء ائتلاف داعم للسلام، وإيجاد تأييد شعبي واسع. هناك صائب عريقات، وهناك ياسر عبد ربه، وهناك أبو مازن، وهناك أبو العلاء، وأنت تعرف من أيضاً، وحتى مروان البرغوثي، مع كثير من الريبة. فهذه قيادة وطنية تعرف أنها كانت قريبة جداً، وما زالت تريد تحقيق هدفها التاريخي، إنشاء دولة ووطن، مع عاصمة، ومع عودة اللاجئين - كم ومتى، هذا ينسّق مع إسرائيل والأميركيين.

■.[.....]

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx